10 me Année No. 464

Lundi - 25 - 5 - 1942

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| مـ | |
| ٦٠ | فى مصر والسودان |
| ٨٠ | فى الأقطار العربية |
| ١٠٠ | فى سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | فى العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

# الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٤٦٤ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦١ — الموافق ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ » السنة العاشرة

الفهرس

صفحة

٥٥٣ لحية بيضاء ... ... .. : أحمد حسن الزيات ... ...

٥٥٥ الحديث ذوشجون . . ... : الدكتور زكي مبارك ... ...

٥٥٨ « خسرو » و « شيرين » في التصوير الاسلامى ... } الدكتور محمد مصطفى ... ...

٥٦١ ابن باجه . . .. ... : الأستاذ عمر الدسوقى ...

٥٦٤ « مرسلات » : ... ... الغيرة ... ... ... . . } الأستاذ محمد محمد المدنى ...

٥٦٦ السيلو هو السيرة والسير ... : الأب أنستاس مارى الكرملى

٥٦٨ حول غزل السلطان سليم ... : الأستاذ ابراهيم أحمد أدهم ...

٥٦٨ السلطان سليم والشعر ... : الأستاذ محمود عزت عرفة ...

٥٦٩ لمن رسالة الحج ؟ ... . . : الأستاذ سيد عثمان المراغى

٥٦٩ « كم ذا » من جديد . : الأستاذ ابراهيم على أبو الخشب

٥٦٩ فى الفن الاسلامى ... ... : الدكتور محمد مصطفى . . ...

٥٦٩ جريدة « الوفاق » فى عامها الخامس عشر . . . . . . } .. . . . . . . . . ...

٥٧٠ واصلون ومنبتون [ قصة ] : الأديب لبيب السعيد ...

من صور الريف

## لحيـــة بيضاء ...

ليت شعرى ما ذا كان يمكن هذا المخلوق أن يكون لو أنه تعلم ؟ الغالب فى الظن أنه لو كان تعلم الحقوق لما برع إلا فى ابتكار الحيل التى تحمى اللصوص ، وتأليف الحجج التى تخدع القضاة ، وتدبير الخطط التى تضلل الشرط . ولو كان تعلم الطب لما اشتغل إلا بتركيب السموم ، وتزوير الشهادات ، وتخدير المدمنين ، وإجهاض الحوامل . ولو كان تعلم الأدب لما نبغ إلا فى قصص التجسس والتلصص والائتمار والدعارة . ولو كان تعلم الزراعة لما برّز إلا فى زراعة التبغ والأفيون والحشيش . ولو كان تعلم الهندسة لما افتنّ إلا فى اختراع المخابئ السرية والمزالق الجهنمية والمفاتيح التى تتحدى كل قفل

ذلك لأن كل نزعة للشر أو نزغة للشيطان إنما وجدت أصلها فيه بحكم الطينة ومقتضى الفطرة ؛ فهو قروى أمى فقير وضيع ، ولكن غرائزه الشريرة العارمة تندلع من جوانب جسمه كألسنة اللهب أو أرجل الأخطبوط فتجعل له شخصية غريبة فيها لكل ضرر مصدر ، ولكل خطر اتجاه !

نشأ بين لِداته من أطفال القرية كما ينشأ الزُّنبور بين النحل أو الثعبان بين الحمام ؛ فكان لا ينفك ضارباً هذا بعصا ، أو قاذفاً ذاك بحجر ، أو خاطفاً لعبة من بنت ، أو سارقاً شيئاً من بيت ! فلما جاوز حد الطفولة دخل فى خدمة الفجّار والمجّان ،

فكان يخدم أولئك في تدبير الجرائم ، ويخدم هؤلاء في إعداد الولائم . وهو في غضون هذا العهد ( التحضيري ) كان لا يفتأ يمرن ملكاته الإجرامية لحسابه الخاص ، فكان يسرق من البيوت الآنية والثياب ، ومن الحقول القطن والذرة ، حتى صار في حد الرجال ، فعد من ذؤبان القرى وغربان الأسواق ؛ فكل جريمة له فيها يد ، وكل سرقة له منها نصيب !

وكانت مزيته بين اللصوص التجسس والاحتيال والمفاوضة وإخفاء المسروق وتعمية الأثر ، لأنه كان ضئيل الخلقة فلا يرهب بمنظره ، ضعيف القوة فلا يغني بعضله . ثم تفاقم شره واستطار أذاه ؛ فكان لا يقع إلا على منكر ، ولا يتقلب إلا في معصية .

غير أن إجرامه ظل من النوع الحقير لضعف بنيته وضعة بيته ، فلم يستطع أن يكون رئيس منسر يفرض الأتاوة بالسطوة ، ويستغل اللصوص بالنفوذ ؛ إنما كان أكبر همه أن يسطو في الليل على أرزاق الأرامل ، ويتدسس في النهار إلى أموال العميان ، حتى انقضت شبيبته وكهولته على حال متصلة من الإثم لم تسكن جوارحه في خلالها عن الشر إلا وهو مجروح في مستشفى ، أو مطروح في سجن . كل ذلك ولم يدخل في ملكه عقار ، ولم يجتمع في جيبه نقد ، ولم يبت في داره قوت

فلما قيده الكِبَر وحطّمه ، وعممه الشيب وثلّمه ، أصبح بحكم السن عاجزاً عن نقب الجدار وتسلق الدار ، فأرسل لحيته شبراً تحت ذقنه ، ثم ضخم العمامة ، وبيّض الجلباب ، وأمسك المسبحة ، ومشى في الأزقة مشية الوقار والتؤدة ، يتمتم بالأدعية ، ويجهر بالتحيات ، ويواظب على الصلوات ، ويجلس على المصاطب يتحسس الأخبار ، ويتسقط الأسرار ؛ فإذا وقف على خلاف أو خصومة بين والد وولده ، أو بين أخ وأخيه ، أو بين صديق وصديقه ، أو بين زوج وزوجه ، اندس إليهما بالإغراء ، وسعى بينهما بالنميمة ، وحمّل هذا على ذاك ، حتى تقع الفرقة أو تحل الكارثة .

فإذا انتهى الخلاف إلى المحكمة ، وسوس للمتخاصمين أو لأحدهما بالحيل التي تطمس الحق أو توسع الخصومة أو تعرقل القضية ؛ لأنه يزعم لنفسه العلم بالقانون والمرافعات لطول ما وقف أمام القضاء وعاش بين البوليس . أما إذا خذله الشيطان وتغلب السلام استفز بالسباب حمية بعض الشباب فيضربه ، ثم تكون الترضية أو تكون القضية . فإذا تعذّر الدس وتحاماه الناس عمد إلى قطعة متروكة مما يملك الغير فاحتلها واستغلها ، فتنشب بينه وبين المالك معركة قضائية لا يصبر فيها صاحب الحق على بطء القضاء وتعقد الإجراء وفحش التكاليف ، فيطلب مصالحة الغاصب بالنزول له عن بعض من حقه أو جزء من ماله

ذلك عمله بالنهار ؛ أما عمله بالليل فصلاة العشاء حاضرة ، ثم إحراق الحشيش جماعة ، ثم التهجد طويلاً ، ثم الهجود قليلاً . فإذا طلع الفجر الكاذب خرج إلى المسجد يهدج تحت الجدران ، وعيناه تبصان في حلك الظلام بصيص الحباب ؛ فإذا لقي في بعض الطريق حماراً أو عجلاً أو خروفاً أفلت من الحظيرة ، امتطاه أو قاده ثم انطلق به حثيثاً في هوادي الليل إلى أقرب ( مركز ) من مراكز اللصوص فيتركه هناك ليصرّفوه ويضيفوه إلى حسابه . ثم يعود إلى القرية وقد هتك الصباح ستر الظلام ، فيأوي إلى بيته ندمان على أن فاتته صلاة الفجر مع الإمام !

وفي ليلة نادية من ليالي المحاق خرج المتعبد القانت على عادته يريد المسجد . وكان الناس قد فطنوا إلى فقد الصغار من مواشيهم فأغلقوا الزرائب وأحكموا الإغلاق . فلما أرسل عينيه الثاقبتين في الخرائب والأجران فلم تقعا على حيوان مهمل أو متاع متروك ، أخذ يهوّد في مشيه ثم وقف يفكر . وكانت نفسه الغوية قد استهواها الظلام والسكون فمضى عليها الشر وعصفت بها المغامرة ، فرجع إلى داره وأخذ معولاً وعتلة ثم انحط من بعض السطوح على دار العمدة ثم شرع ينقب الجدار عن عجل الساري

دُهم الشيخ في السَّحَر وسيق في الصباح إلى مركز البوليس فحاول أن يدحض التهمة عن نفسه بانخراع متنه وابيضاض شعره وارتعاش يده فلم يوفق

ودخل المجرم السجن أشوق ما يكون إليه ، وبدد الحلاق على أرضه الخشنة الغبراء ، خُصل لحيته الكثيفة البيضاء ؛ ثم لبث فيه ما لبث ، وخرج للناس يسلط عليهم النمائم ، ويزرع بينهم الضغائن ، ويدبر فيهم المكايد ، حتى سولت له نفسه بالأمس أن يخزن قمحه قبل أن تأخذ الحكومة نصيبها المفروض منه ، فتجاهل السلطة ، وتحدى العمدة ، وضرب الحارس . ثم بات هو وأهله في سجن (المركز) ، ثم قدموا في الصباح جميعاً إلى المحكمة العسكرية !

تلك صورة من صور الريف الكريهة قدمناها مصغرة إلى المشتغلين بعلم النفس الجنائي لعلهم ينتهزون هذه الفرصة قبل أن تفوت ، فيدرسون هذا الرجل العجيب قبل أن يموت !

( المنصورة ) أحمد حسن الزيات

# الحديث ذو شجون

## للدكتور زكى مبارك

ينبوع حلوان ، وما أدراك ما ينبوع حلوان ؟ ! — عناد بعض المؤلفين — النواب الجامعيون — مع الدكتور طه حسين — امتحان جديد — يقال ويقال وما أكثر ما يقال ؟

### ينبوع حلوان

منذ أكثر من عامين فوجئ سكان حلوان بينبوع يتفجر بقوة وعنف ، وتسامع بذلك أهل العلم بخصائص الينابيع ، فأسرعوا إلى تحليل ماء الينبوع الجديد ، ثم عظمت دهشتهم وعظم فرحهم حين وجدوه يغنى المصريين عن استيراد المياه المعدنية من الأقطار الأوربية . فأهلاً وسهلاً بالنعمة التى يصغر بجانبها صادق الحمد وعاطر الثناء

ولكن هذا الينبوع السعيد هدد بقدومه جماعات المتجرين بالمياه المعدنية ، فماذا يصنعون ؟ وهل يجوز السكوت عن ثروة تعتز بها مصر على الزمان ؟

هداهم الحس التجارى إلى طمر الينبوع قبل أن تلتفت الحكومة المصرية إلى منافعه الحقيقية ، فتحرسه من مكايد أهل البغى والعدوان

وكيف يطمر الينبوع ؟ وفى أى وقت ؟ يطمر بأكياس الأسمنت ، وفى غفوة الليل ! !

وهنا نرسم صورة قليلة الأمثال ، بين صور الخيال

كان الينبوع يغنى نشيد الحرية ، فقد طال سجنه فى غيابات الصخور ألوفاً من السنين . وهل يعلم إلا الله مقدار الآماد التى قضاها ذلك الينبوع وهو سجين ؟

لقد تلقته رمال حلوان بترحيب رنان ، وكان فى أشد الشوق إلى ذلك الترحيب . ألم يكف ما عاناه من الحبس الطويل فى ظلمات الصخور الصماء ؟

هو يغنى ، والرمال تغنى ، وما أجمل الغناء حين يلتقى الحبيب والمحبوب !

كان الليل ليل حلوان ، وليل حلوان موحش حين يغيب بدر السماء ، وكان الينبوع حديث العهد بالميلاد ، ولا علم له بمتاعب الأحياء ، فكان يغنى ويغنى بلا حذر ولا احتراس

وفى حومة تلك الفرحة الشعرية نظر فرأى جماعات لهم وجوه بشرية ، ولهم قلوب حجرية ، فانزعج وارتاع

ما ذا يريد هؤلاء ؟

ما ذا يريدون ؟

كان الينبوع يعرف أنه فكرة نقية طاهرة ، وأنه لن يسيل فوق الرمال إلا كما يسيل القلم النبيل فوق الأوراق ، فما بلاؤه بهذه الوجوه السود فى ليلة سوداء ؟

أيكون هؤلاء مصريين ؟

أيكونون أجانب ؟

وما خوف أولئك وهؤلاء من ينبوع سيمحو عللهم الدفينة بلا تفريق بين هذه الديانة أو تلك ، وبلا تمييز بين هذا الجنس أو ذاك ؟

طُبْ . طُبْ ، طُبْ !

ما هذا ؟ ما هذا ؟

تلك أكياس الأسمنت تلقى بغلظة وبوحشية فى ثغر الينبوع لتصده عن الابتسام لجمال الوجود

وينظر الينبوع فيرى الرمال أضعف من أن تحميه ، ويرى الأمة فى غفلة عن قيمته الذاتية ، ويرى الحكومة تنتظر آراء الخبراء ، لتقرر حراسته من بنى الأعداء ، وذلك لا يتم إلا بعد أسابيع طوال !

فماذا يصنع ؟

أيخضع ويستكين إلى أن يظفر بتقرير المصير ؟

وكيف وفيه قوة عارمة تذيب الألوف من أكياس الأسمنت ؟

الرأى أن يدفع الينبوع تلك الأكياس ، وأن يهدد بالغرق من يتزلون لتثبيت تلك الأكياس ، فكان للينبوع ما أراد

فإذا سمعتم أن خلائق ماتت بلا علة فاعرفوا أنها تعرضت لطمر ذلك الينبوع النفيس فى تلك الليلة الظلماء

وإن سمعتم أن ذلك الينبوع لم ينقطع عن الغناء ، فاعلموا أنه موصول الأواصر بوحى السماء

ولكن ما الموجب للحديث عن ينبوع حلوان فى هذا الوقت؟

ليتنى أعرف !

### عناد بعض المؤلفين

قرأت كلمة الأستاذ محمود عزت عرفة فى التعقيب على الكلمة التى نشرتها « الرسالة » لسعادة الأستاذ طه الراوى ، الكلمة التى بيّن فيها أن موشحة « أيها الساقى » ليست لابن المعتز ، وإنما هى لابن زهر أحد شعراء الأندلس

وأقول إن هذه الموشحة لها عندى تاريخ ، فقد نسبتُها إلى ابن المعتز فى الطبعة الأولى من كتاب « مدامع العشاق » ، ثم ارتبت بعد ذلك فى نسبها فأضفتها فى الطبعة الثانية إلى « أحد الشعراء » وقد صح عندى أن نسبها إلى ابن المعتز نسبٌ مدخول

وفى سنة ١٩٣٧ كتبتُ عن ناظمها الأصيل كلمة فى الصفحة الأدبية بجريدة البلاغ تحت عنوان : « عرفناه ! عرفناه ! »

وكان الظن أن تستفيد اللجنة التى ألّفت كتاب الأدب للسنة التوجيهية من ذلك التحقيق الأدبى ، ولكنها خشيتْ أن يقال إنها استفادت من جهود أحد « أصدقائها » فى هذه البلاد !

والآن وقد وصل التحقيق من أحد فضلاء العراق لم يبق ما يمنع من تصحيح تلك الغلطة فى مطبوعات وزارة المعارف المصرية !

### النواب الجامعيون

كثرت الحفلات فى هذه الأيام لتكريم الشبان الذين نجحوا فى انتخابات مجلس النواب من أبناء الجامعة المصرية ، وهم الأساتذة محمد فريد زعلوك وأحمد قاسم جودة وجلال الدين الحمامصى وحسين شمير وعلى كريم ومحمد مصطفى خليفة ومحمد زكى علام .

فما معنى ذلك ؟

أيكون معناه أن الفكرة الجامعية ستسيطر على الحياة النيابية ؟

أيكون معناه أن التفكير الحر ستكون له أسندة من أولئك الفتيان ؟

ليت ثم ليت ؟!

أيكون معناه أن الحركة الفكرية ستظفر برعاية جديدة تصدّ عنها عوادى الجهل ؟

ليت ثم ليت !

كنت أنظر إلى ما يصنعه النواب والشيوخ الوفديون فى عهد الوزارة الماضية فأعجب وأطرب ، فقد كانوا يقهرون تلك الوزارة على السماح بنشر ما يمنعه الرقيب ، وكان سبيلهم إلى ذلك أن يثيروا المشكلة فى مجلس النواب أو مجلس الشيوخ ، فيصبح من حق الجرائد أن تنشر ما تعرّض لمنعه الرقيب

فهل ننتظر من النواب الجامعيين مواقف تشبه تلك المواقف فى الانتصار لحرية الرأى والفكر والبيان ؟

وهل نرجو أن يكون لجهادهم النيابى لونٌ يتسم بالغيرة على الحرية الفكرية ؟

كل ما أخشاه أن ينساقوا مع التيارات السياسية لتقام لهم حفلات جديدة باسم الوزراء الجامعيين !

عذركم مقبول ، أيها الفتيان ، فالأدب الصِّرف لا يسوق لأصحابه غير المتاعب ، ولا يؤهلهم لغير التمرس بمعضلات الوجود

### أعداد الرسالة الخاصة

فى سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، ستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العروبة ، ينوه بفضله ويعرف بأهله . وستبدأ بعدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والمقالات والصور

### مع الدكتور طه حسين

المعروف أن بينى وبين الدكتور طه « ما صنع الحدّاد » وإن كنت أجهل المراد من هذه العبارة المصرية ، ولكن ما صنع الحداد لا يمنع من لقاء الدكتور طه حسين ، لأنه جارى بوزارة المعارف ، والجيران يتلاقون كارهين أو طائعين ، وفى ذلك التلاقى يجرى الحديث حول محصول الحركة الأدبية فى هذه الأيام ، وهو يقرأ جميع ما تنشر المجلات ليعرف إلى أى مدى ينتهى جموح بعض الكاتبين !

— أنت يا دكتور زكى تتجاهل أن الدنيا فى حرب .

— وماذا يصنع الكاتب فى أيام الحرب ، ياسيدى الدكتور؟

— يكتب ثم يطوى ما يكتب إلى أن تجىء أيام السلام

— وإذا نَشر ما كَتب ؟

— يعاقب بالصمت .

— ولكن الكتابات الأدبية كالود الصحيح وهو يُطلب فى جميع الأوقات

— هنالك أوقات تكون منها الصحة ضرباً من الاعتلال ، ويكون الفوز لأهل الأمراض

— وهل وصلنا إلى هذه الغاية يا سيدى الدكتور؟

— لم نصل إلى هذه الغاية ، ولكنى أخشى عواقب هذه الحال

— وما هذه الحال ؟

— هي ضعف الأعصاب عند جميع الناس ، بحيث يجوز الضجر من أجل الأشياء وأشرف المعاني

— ولكن الفكر مسؤول أمام قرائه في كل وقت ، وفيهم من يجهل أن الدنيا في حرب

— من واجب الفكر أن يعلّم قراءه ما يجهلون

— وهذا ما أصنع يا سيدي الدكتور

— هل علمتهم أن الدنيا في حرب ؟

— قصصت عليهم قصة الطائر الغريب

— وما قصة الطائر الغريب ؟

— هو طائر يساير الأنوار المبثوثة فوق الشواطئ

— لأي غرض ؟

— ليعرف مسابح الأسماك فيهديها سواء السبيل

— الناس يقولون غير ذلك !

— وماذا يقولون ؟

— يقولون : إن الطائر يضع المصابيح ليجتذب الأسماك إليه

— وماذا أصنع إذا كانت الطبيعة ترى النورس الجاذبية ؟

— ومن أجل هذا تطالب بحرية الفكر والرأي ؟

— هو ذلك !

— إكتم هذا الحديث يا دكتور زكي ، ولا تخبر أحداً بأنك حاورتني في الأنوار والظلمات

— سمعاً وطاعة ، يا سيدي الدكتور ، فلن أنشر هذا الحديث إلا بعد انتهاء الحرب

**امتحان جديد**

تقوم الشواهد في كل يوم على أن الحكم للسيف والمدفع ، وأن المعاني الروحية في سبيل الزوال ، فكيف نلقى القراء في حدود ما عودناهم لعهد السلام ؟ وكيف نناضل لحفظ سلطان الرأي في زمن تضعضعت سلطنة الرغيف ؟

هل نترك معالجة المشكلات اليومية وننصرف إلى معالجة المشكلات التاريخية ؟

هل نتحدث عن جبل واق الواق في أساطير الأولين ؟

لا هذا ولا ذاك ، فسترون كيف نخرج من امتحان هذا الزمان بأمان

**يقال ويقال**

يقال : إن المؤلفات الأدبية ظفرت في هذه الأيام برواج لم تعرفه من قبل ؛ ويقال : إن السبب في هذا الرواج هو نفرة العقول من سخف الدعايات الأجنبية

ويقال : إن الحرب علمت المصريين أشياء وأشياء ، ولكنها غفلت عن تعليمهم معنى التضامن الوطني ، فجهلوا التعاون في توفير الأقوات

ويقال : إن وزارة الشؤون الاجتماعية قضت أعواماً في تعريف الصناع والزراع بأنهم تعساء ، ولم تعلمهم كيف يدفعون التعاسة بشرف النضال في المطالب الحيوية

ويقال : إن في النية فرض ضريبة على النساء اللائي يتباهين بنشر صورهن في بعض المجلات

ويقال أيضاً : إن أزواجاً سيعاقَبون على السماح لزوجاتهم بالاشتراك في « المراقص الخيرية » ! !

وسمعت ثم سمعت أن الدولة ستحرم الرِّياء الاجتماعي تحريماً قاطعاً ، وأنها لن تبيح شرف النيابة عن الأمة لمن يسمح لزوجته بإقامة حفلات الاستقبال

وحدثني من أثق بصدق روايته أن الميسر سيكون من المحرّمات ، وأن السهر في المنازل سيُمنع بعد صلاة العشاء

صلاة العشاء ؟ . . . صلاة العشاء ؟

يظهر أنني انتقلت إلى الحديث عن أهواء التاريخ !

**زكي مبارك**

# خسرو وشـــيرين

## فى التصوير الإسلامى

للدكتور محمد مصطفى

( تتمــة )

بعد أن رفع شابور الستار عن مخبأ شيرين ، تقدم خسرو إليها ، فخرّت أمامه ساجدة تقبل الأرض تحت قدميه ، وطفقت تشكو إليه بثها وحزنها ، وتذرى دمعها ، وتمرى جفنها ، فأحضر



( شــكل ١ )

خسرو موبذ الموبذان وأمره أن يزوجه شيرين ففعل[1]. وشاء أن يعم الفرح والسرور قلوب المقربين إليه ، فأمر موبذ الموبذان فزوج مطربه باربد ، نيكيسيا ، مطربة شيرين ، وصديقه شابور ، هايون ، صديقتها ، وأجلس شابور على عرش مملكة أرمينيا مكافأة له على مساعيه التي كللت بهذا النجاح . وبعــد أن قضى الزوجان الحبيبان فى قصر شيرين وقتاً هنيئاً سعيداً ، رجعا إلى المدائن حيث أقاما حفلات الزواج الرسمية وتوّجت شيرين إلى جانب خسرو ملكة على عرش إيران .

(١) أنظر ما يرويه الفردوسى عن زواج خسرو وشيرين فى الشاهنامه ج ٢ ص ٢٣٧ — ٢٣٩

وفى ( شكل ١ ) يجلس خسرو وشيرين فى إحدى الليالى على عرش فاخر تحمله منظرة جميلة ، فى وسط حديقة غناء . وأمام العرش شموع موقدة تحيط بفسقية تسبح فيها ثلاث أوزات . وإلى اليمين بعض رجال الحاشية ومعهم الخدم والسقاة يحملون الطعام والشراب ؛ وإلى اليسار يجلس فريق من وصيفات شيرين ، وهن يروين القصص لتسلية الزوجين الحبيبين . وإحداهن — وهى الجالسة إلى الخلف بجانب المنظرة — لها سحنة أوربية ، ويظهر من ملامحها أنها رومية الأصل[1] . وهذه الصورة[2] من تصوير آقا ميرك[3] أحد مشاهير مصورى عصر الشاه طهماسب الأول الصفوى ، وهى فى مخطوط نظامى السابق الذكر[4] المكتوب لهذا الشاه .

وفى ( شكل ٢ ) يجلس خسرو فى روضة على سجادة جميلة ، وقد وضع سبابة يده اليمنى فى فمه ، وهو يتحدث إلى شاب راكع إلى يمينه ، بينما يعتمد بمرفقه الأيسر على ركبة زوجته شيرين



( شــكل ٢ )

(١) انظر Laurence Binyon, p. 20

(٢) منقولة عن: Laurence Binyon, pl. X انظر أيضاً : Martin, II, pl. 136 و Sakisian, pl. LXXIX fig. 142 و S. P. A., V, pl. 896

(٣) أنظر ما كتبناه عن هذا المصور فى العدد ٤٦١ من « الرسالة » ص ٥٠١ شكل ٣

(٤) أنظر ما كتبناه عن هذا المخطوط فى العدد ٤٠٠ من « الرسالة » ص ٢١٢ شكل ٢

مونياً ظهره إليها . وإلى اليمين تجلس نيكيسا مطربة شيرين وهى تعزف على « الرباب » . ويظللهم جميعاً فرع من شجرة زاهرة ، وقف عليه عصفور رشيق له ذنب طويل ، وقد انحنى إلى الأمام كأنه يتأهب لالتقاط قطعة الحلوى التى فى يد شيرين . وهذه الصورة[١] مرسومة على « لوحة » من نسج الحرير ، كتب عليها من الخلف « عمل أستاذان خطاى » فظهرت الكتابة مقلوبة فى أعلى الصورة إلى اليمين . وهذه الكتابة تدل على أن مصور هذه الصورة فنان من التركستان الصينية ، كما يظهر التأثير الصينى بوضوح فى طريقة تصوير فرع الشجرة والزهور ، وفى رسم العصفور الواقف عليه . ويعتقد الدكتور كينل[٢] أنها من تصوير فنان صينى أراد أن يمارس التصوير فى إيران فرسم موضوع « خسرو وشيرين » ، ويظهر أنه رأى صوراً كثيرة لخسرو وهو يضع سبابته اليمنى فى فمه علامة لدهشته إذا فوجئ برؤية شيرين الجميلة[٣] ، فرسمه هنا أيضاً فى هذا الوضع ، مع عدم وجود ما يبرر الدهشة ، إذ تجلس شيرين إلى جواره ، ولا يفاجأ برؤيتها . ويؤرخ الدكتور كينل[٤] هذه الصورة من الثلث الأول للقرن التاسع الهجرى ( ١٥ م ) ـ وهو الأرجح ـ بينما يؤرخها الأستاذ « كوماراسوامي[٥] » فى القرن العاشر الهجرى (١٦م) وهذه الصورة محفوظة فى متحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطون .

* * *

هكذا مضت الأيام وتوالت السنون وخسرو ينعم بالحياة السعيدة مع زوجته الحبيبة ، وقد خلبته الدنيا فاسترسل إليها . إلى أن كان ذات يوم وقد جلس فى إيوان المدائن ، وحوله الحراس الأشداء الأقوياء ، وبين يديه رجال حاشيته وبلاطه ، تحيط به من كل ناحية مظاهر القوة والأبهة والجلال ، وكانت بيده مرآة صقيلة جميلة ، هى تحفة نادرة تليق بمقامه السامي الرفيع ، يتطلع فيها إلى وجهه في زهو وخيلاء وغرور . وعلى حين بغتة انتفض هذا الملك الجبار ، إذ رأى بين شعور لحيته السوداء المرسلة بعناية فائقة ، شعرة بيضاء تتألق بينها ، كأنها نجمة بعيدة فى ليل دامس الظلام . وبهت خسرو لهذه الظاهرة العجيبة ، وأرسل يدعو معلمه بزرجميد الحكيم ، ليسأله رأيه فى هذا الأمر الغريب .

ولما حضر ذلك الرجل الخبير بدواخل الأمور ، ابتسم وحاول أن يسرى عن الملك ، ثم أخذ يشرح له نظام الكون ، ومصير الخلق ، وأفهمه أن دوام الحال من المحال ، وأن مآل كل شئ إلى الزوال

* * *

وشبّ شيرويَه بن خسرو من زوجته مريم بنت أمبراطور الروم ، وقد تحقق فيه ما تنبأ به المنجمون عند ولادته ، ومرق عن الدين ، وخرج عن طاعة رب العالمين ، فلم يحمد أحد سيرته إذ كان مطبوعاً على الشر والإثم . وصادف أن رأى يوماً زوجة أبيه شيرين ، فراقت فى عينيه الآثمتين ، واشتهاها لنفسه . وهيأت له نفسه الشريرة أن يقتل أباه ، فيحصل على العرش ، ويستأثر بالملكة الجالسة عليه

وذات ليلة أرسل شيرويه رجلاً من صنائعه ، تسلل إلى مخدع الملك ، وطعنه طعنة نجلاء أصابته فى مقتل ، ثم فرّ هارباً . وصحا خسرو والدماء تنزف من جرحه بغزارة وتبين أنه لا أمل له فى النجاة من جرحه القاتل ، واشتهى جرعة من الماء يخفف بها آلامه وأوجاعه . ولكنه أبى على نفسه أن يوقظ زوجته الحبيبة شيرين . وبعد أن ملأ ناظريه من وجه شيرين ، أغمض جفنيه ، واستسلم للموت ، فجاء برداً وسلاماً عليه ، وأسلم الروح

وشيئاً فشيئاً صحت شيرين ورأت خسرو يرقد إلى جوارها وقد فارقته الحياة ، فبكت وتوجعت ، ولكنها تمالكت نفسها ، إذ علمت أن أمامها واجباً نحو زوجها الراحل يجب عليها أن تؤديه وقامت إلى جثمانه ، فغسلته وضمخته بالعطور والزيوت ، وأعدته لموكبه الأخير[١]

(١) منقولة عن Amanda K. Coomaraswamy, Les miniatures orientales de la collcction Goloubew au Museum of Fine Arts Boston, pl. XXX, fig. 55 a

وانظر أيضاً : Schulz, II, Taf. 65 و Martin, II, pl. 51 و Sarre & Martin, pl. XVII 2 و Kühnel, Miniatur, Abb. 39 و Migeon, Manuel, I, p. 150, fig. 25 والدكتور زكى محمد حسن — التصوير فى الاسلام — اللوحة ١٦ شكل ٢١

(٢) انظر : Kübnel, Miniaturmalerei, p. 55

(٣) راجع ما كتبناه عن ذلك فى العدد ٤٠٨ من « الرسالة » ص ٤٣٨ شكل ٤

(٤) انظر : Kühnel, Book Painting, in : S. P. A., III, p. 1854, n. 4

(٥) انظر : Amanda K. Coomaraswamy, p. 37—40

(١) لا يسهب الشاعر نظامي فى سرد حادث مقتل خسرو ، ويخالف في ذلك ما يرويه المؤرخون من أن شيرويه حبس أباه ثم أمر بقتله وهو فى السجن . أنظر تفصيل ذلك فى الشاهنامه ج ٢ ص ٢٥٠ وما بعدها والطبرى ج ٢ ص ١٥٩ وما بعدها ونولدكه ص ٣٧٩ وما بعدها

وفى ( شكل ٣ ) تقف شيرين مع إحدى وصيفاتها ، وهى تبكى وتندب زوجها الراقد جثمانه على السرير ، وفى صدره جرح غائر تتدفق منه الدماء . وإلى اليمين يفر القاتل هارباً من الباب وفى يده سيف مسلول يقطر منه الدم . ونلاحظ الزخرفة النباتية الجميلة فى بلاط أرضية الغرفة ، وما يظهر على الحائط من نقوش دقيقة من صور آدمية ورسوم حيوانات وطيور . وهذه الصورة[١] فى مخطوط للمنظومات الخمس للشاعر خسرو الدهلوى ، كتبه الخطاط سلطان على فى سنة ٩٠٠ هجرية ( ١٤٩٦ م ) وهو محفوظ فى مكتبة الدولة برلين[٢]



( شكل ٣ )

بعد أن هيأت شيرين جثمان خسرو لموكب الجنازة ، جاءها رسول من قبل شيرويه ، يبلغها هيام سيده بها[٣] وتظاهرت شيرين بالقبول ، ولبست أبهى ملابسها ، وتزينت بأجمل زينة لديها ، فابتهج شيرويه وظن أنها رضيت به . ولما وصل الموكب إلى القبر ، أدخل النعش إليه ، وبقيت شيرين بمفردها فى القبر إلى جانب جثمان زوجها بحرسه . ولما أقفل الباب رفعت الغطاء عن صدر خسرو وقبلت مكان الجرح ، ووضعت خدها على خده واستلت خنجراً أغمدته فى قلبها ، ثم بقيت تحتضن حبيبها بين ذراعيها

## خاتمة

يقول صاحب الشاهنامه[٤] : ينبغي لمن يطالع أحوال خسرو برويز ويقرأ أخباره أن ينفض ذيله من الدنيا الغرّارة الغدّارة ، فلا يسترسل إليها ، فإن سمّها يغلب ترياقها ، وآمال بنيها تنتج إخفاقها . وقبيح بالعاقل أن ينوى الإقامة فى المراحل ، ولو أمكن دفع طارق الحدثان ، بالملك والسلطان ، والتمكين والإمكان ، والأنصار والأعوان ، لكان خليقاً بذلك خسرو برويز الذى عم

(١) منقولة عن : Schulz, II, Taf. 58, Abb. 1 أنظر أيضاً : Arnold and Grohmann, The Islamic Book, pl. 49 B

(٢) أنظر : Schulz, I, p. 112—113

(٣) أنظر تفاصيل أخرى فى الشاهنامه جـ ٢ ص ٢٠٦ — ٢٠٧

(٤) جـ ٢ ص ٢٤٥ وما بعدها

أمره طلاع الأرض ، وأطاعته ملوك الشرق والغرب ، وكان يحمل إليه خراج الهند والروم والترك والصين ؛ وقد جاء خبر موته إلى النبى صلى الله عليه وسلم يوم صلح الحديبية مع أهل مكة[١]

وفى وفاة خسرو يقول الشاعر[٢] :

هى الدنيا تقول بملء فيها : حذار حذار من بطشى وفتكى
ولا يغرركم حسن ابتسامي • فقولى مضحك والفعل مبكى
بكسرى برويز اعتبروا فإنى أخذت الملك منه بسيف هلك
وكان قد استطال على البرايا ونظم جمعهم فى سلك ملك
فلو شمس الضحي جاءته يوماً لقال لها عتواً : أُف منك
ولو زُهر النجوم بغت رضاه تأبّى أن يقول : رضيت عنك
فأمسى بعد ما ملك البرايا أسير الموت فى ضيق وضنك !

« تم »

**محمد مصطفى**
أمين مساعد دار الآثار العربية

(١) أنظر نولدكه ص ٣٠٣ حاشية ١

(٢) نقلا عن الشاهنامة جـ ٢ ص ٢٠٦ بدون أى ذكر لاسم الشاعر . وقد تفضل الأستاذ محمد البرهامي منصور بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية وأرشدنى إلى أن هذه الأبيات من قصيدة لأبى الأعرج السارى يرثى ثغر الدولة ، أنظر شرح شواهد الشذور ص ٢٧ ـ طبعة العامرة العثمانية ـ تأليف الشيخ محمد على الفيومى الشافعى

في الفلسفة الإسلامية

# ابن باجّه

للأستاذ عمر الدسوقي

## لمحة تاريخية

فتح العرب الأندلس في أواخر القرن الأول الهجري على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير ، وظلت الأندلس ولاية تابعة للبيت الأموي في دمشق ، ولما سقطت دولة بني أمية ، وأسس بنو العباس ملكهم في بغداد ، وأخذوا يضطهدون الأمويين ، فرّ الأمير عبد الرحمن بن معاوية الملقب بالداخل إلى الأندلس في سنة ١٣٣ هـ ، ٧٥٠ م . وقد أفلح في تجديد ملك بني أمية بالأندلس ، ولكنه لم يتسم هو أو خلفه بلقب أمير المؤمنين أو خليفة المسلمين ، وإنما كان ذلك في عهد عبد الرحمن الثالث الأموي ٣٠٠ — ٣٥٠ هـ و ٩١٢ — ٩٦٠م ، وظلت الخلافة قائمة حتى سنة ٤٠٣ هـ ، ١٠١٣ م حين غُلب الأمويون على أمرهم وانتشرت الفتن في البلاد ، وضرب البربرقرطبة ، ومن ثم استقل كثير من الأمراء بمقاطعات صغيرة ودعوا بملوك الطوائف : كبني عباد بإشبيلية ، وبني الأفطس ببطليوس ، وبني ذي النون بطليطلة ، وبني هود بسرقسطة ، وبني عامر ببلنسية ، ومجاهد العامري بجزر البليار

وفي ذلك الوقت قامت في المغرب ثورة تدعو إلى استقلاله عن الأندلس ، وانفرد بالحكم فيه المرابطون . وقد حدث أن دعا ملوك إشبيلية المرابطين لنجدتهم في بعض حروبهم ضد الفرنجة ، فأعانوهم ثم تغلبوا على بقية الأندلس وظلوا يحكمونها أكثر من نصف قرن حيث ذهب ملكهم في بلاد المغرب على يد الموحدين الذين ورثوا عنهم الأندلس وحكموها مدة قرن من الزمان ١١٤٩م — ١٢٣٢ م ؛ وبعد سقوط هذه الدولة عادت الأندلس إلى التفرقة والانقسام ، ثم أخذ ملك حكامها يتقلص تدريجياً إلى أن أجلي العرب عن غرناطة آخر حصونهم سنة ١٤٩٢ م

أما الحالة الفكرية فكان المغرب في أثناء حكم الأمويين يعتمد على المشرق في كل شيء تقريباً من الناحية العلمية ، وكان يستعد للنضوج الفكري ، وقد اجتهد الأمويون ولا سيما في خلافة الحكم بن عبد الرحمن ٣٥٠ — ٣٦٦ هـ في جلب كثير من الكتب الثمينة التي ألفت في الشرق ، كما كان علماء المشرق الذين ضاقت بهم الحال في بلادهم يجدون في الأندلس سوقاً رائجة لأفكارهم ومعلوماتهم ، وكذلك كان كثيرون من محبي العلم في الأندلس يقصدون الشرق واردين العلم من منابعة الأصلية ، فيمرون بمصر والشام وبغداد والحجاز وقد يذهبون إلى فارس . على أن الحياة الفكرية لم تبلغ أشدها في المغرب إلا في عهد المرابطين ، ثم بلغت أوجها الذهبي في زمن الموحدين حيث ظهر ابن طفيل وابن رشد وابن زهر وغيرهم . ويجدر بنا قبل الكلام عن ابن باجة أن نبدي الملحوظات الآتية :

١ — كان المغرب بعيداً عن المنازعات الدينية العنيفة التي ظهرت في الشرق ، فلم يسد فيه إلا مذهب مالك ، ولم يكن فيه لا مجوس ولا زنادقة ، ولم يظفر فيه كثير من علماء الكلام والجدل . وكان أهم ما يعتني به أهله ولا سيما في عصر الأمويين الطب والرياضيات والتنجيم . وكان الناس مشغوفين بالشعر والتاريخ والجغرافيا ، ولم تكن موجة التفلسف قد غمرتهم وأفسدت عقولهم كما هو الحال في المشرق . هذه كانت حال الأندلس أول الأمر

٢ — ولكن نجد أن المذهب الظاهري الذي يمثله ابن حزم — وهو من أشد المذاهب ضيقاً — يسيطر على الأندلس ، حتى نرى كل من يفكر في الفلسفة يضطهد . فلما قدم عبد الله بن مرة القرطبي إلى بلاد الأندلس يحمل الفلسفة الطبيعية ( التي يمثلها الكندي ) في عهد عبد الرحمن الثالث أحرقت كتبه أمام ناظريه ولهذا لم يجد الفلاسفة جواً من الحرية حتى ينشروا آراءهم . ولقد اضطهد ابن باجة وابن رشد من العامة والخاصة على السواء ؛ ولهذا أيضاً اتخذ فلاسفة الأندلس النظرية القائلة بأن الفلسفة لا تصلح للعامة وإنما هي وقف على الموهوبين من الخاصة ، وسنجد كذلك محاولتهم في التوفيق بين الفلسفة والدين

٣ — لم يوجد في الأندلس جماعة يقومون بالنقل والترجمة ويتقدمون بعرض الآراء الفلسفية كاليعاقبة والنساطرة في الشام والعراق ؛ أما اليهود الذين ادعى كثير من المستشرقين بأنهم كانوا الواسطة في نشر الفلسفة بين مسلمي الأندلس فأثرهم ضئيل ، وهؤلاء كانوا تلامذة للمشارقة فتأثر باخيا بن باقودا بإخوان الصفاء وتأثر ابن جبرول وغيره بفلاسفة المشرق الإسلاميين[1]

وعلى العموم فقد كانت الحياة بالأندلس غير ملائمة لجو الفلسفة ، وكان الفيلسوف يشعر بوحشة نوعاً ما لشدة التعصب وضيق العقل

(١) أنظر دي بور ترجمة أبي ريده ص ٢٣٧

## من هو ابن باجه

هو أبو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ المعروف بابن باجّه[1] ولد في مدينة سرقسطة في أواخر القرن الخامس الهجري في ذلك الوقت الذي عصفت فيه ريح الانحلال بدولة بني أمية بالأندلس، وشب أبو بكر والمرابطون يحكمون في البلاد، فاتخذه حاكم سرقسطة أبو بكر بن ابراهيم صهر أمير المرابطين جليساً له ووزيراً مما أوغر صدر العساكر والفقهاء[2] ولكن الأحوال في سرقسطة اضطربت وهاجمها ألفونس الأول ملك أرجونة فسقطت في يده عام ٥١٢هـ، ١١١٨م. فرحل عنها ابن باجه، وذهب إلى أشبيلية، واستقربها وألف فيها بعض رسائله في المنطق كما يقول مونك[3]، وقد فرغ من إحداها في شوال سنة ٥١٢ هـ، وتوجد في مكتبة الأوسكوريال تحت رقم ٦٠٩. ثم قصد ابن باجّه مدينة غرناطة وأقام بها مدة، ومن ثم ذهب إلى بلاد المغرب. ولما مر بشاطبة اعتقله الأمير أبو إسحق بن يوسف بن تاشفين كما روى الفتح ابن خاقان بسبب لم يذكر ولعله الزندقة، ولكن مالبث أن أطلق سراحه بشفاعة والد الفيلسوف ابن رشد.

وروى أن أبا بكر بن يحيى بن تاشفين استوزر ابن باجّه عشرين سنة، ولكن «مونك» يشك في ذلك لأن الحوادث التاريخية لا توافق هذه الوزارة؛ إذ أن أبا بكر بن تاشفين كان قد فر من فاس سنة ٥٠١ هـ - ١١٠٧م؛ وذلك قبل تزوح ابنه إلى بلاد المغرب فيظهر أن مسألة الوزارة هذه غير صحيحة

مات ابن باجه ولم يعدُ طور الشباب، وقيل إنه مات مسموماً إذ كاد له أطباء بلده حسداً منهم وحقداً. وكان ابن باجه قد مني بأعداء كثيرين، وكانت وفاته في رمضان سنة ٥٣٣هـ ١١٣٨م بمدينة فاس، وكان قبره بجوار قبر القاضي ابن العربي

ومن أشهر أعدائه الذين حاربوه ورموه بالزندقة والكفر والخروج عن جادة الدين الفتحُ بن خاقان الفرناطي صاحب «قلائد العقيان»؛ ومما قاله قادحاً فيه: «إن ابن باجه رمد جفن الدين. وكد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة ولا استنجى من حدث، ولا أقر ببارية ومصوره ... نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله الحكيم، واقتصر على الهيئة: (الفلك)، وحكم للكواكب بالتدبير، واجترأ عند سماع النهي والإيعاد، واستهزأ بقوله تعالى: «إن الذي فرض عليك القرآن لرادُّك إلى معاد»؛ فهو يعتقد أن الزمان دور، وأن الإنسان نبات له نَوْر، حِمامه تمامه، واختطافه قطافه. وانتمت نفسه إلى الضلال وانتسبت، ونفث يوم تجزى كل نفس بما كسبت، فقصر عمره على طرب ولهو، وأقام سوق الموسيقى، فهو يعكف على سماع التلحين، ويعلن بذلك الاعتقاد ولا يؤمن بشيء قادنا إلى الله في أسلس قياد، مع منشأ وخيم ولؤم أصل وصورة شوهها الله وقبحها[1]»

ولا شك عندى وعند كل ذى لب أن هذا كلام متحامل فيه كثير من لغو القول وسخف العقل وتحريض للعامة ضد الفلاسفة

### منزلته

يقول ابن أبي أصيبعة عن ابن باجه: «كان في العلوم الحكمية علامة وقته وأوحد زمانه. وكان متميزاً في صناعة الطب، وكان متقناً لصناعة الموسيقى، جيد اللعب بالعود[2]»؛ وعده ابن خلدون من أكابر فلاسفة الإسلام بالأندلس، وشهد له ابن طفيل في حي بن يقظان بالتقدم والفضل، كما أن ابن رشد أعجب به كثيراً وحاول شرح بعض كتبه؛ وعندنا أن لابن باجه ميزتين:

١ — إنه أول المشتغلين بالفلسفة في الأندلس بعد أن ظلت كتب الفلسفة زمناً طويلاً مطمورة في مكاتب المغرب، ولهذا كانت خطوته جريئة؛ إذ الغلبة الفكرية كانت لرجال الدين، وهذا يعلل لنا ما لاقاه من اضطهاد وعداوة ظاهرة، ويفسر لنا ما قاله الفتح بن خاقان آنفاً

٢ — إنه أول فلاسفة الإسلام الذين حاولوا أن يبحثوا الفلسفة مستقلة عن الدين، وأن في إمكان العقل الإنساني أن يصل إلى المعرفة الحقيقية وكشف أسرار الوجود دون ما حاجة إلى التصوف والإجهاد بالعبادة

ومع ذلك لم يستطع ابن باجه أن يتم مؤلفاته لانشغاله بأمور الدنيا، ولأن المنية اخترمته وهو في ريعان الشباب. واستمع لابن طفيل يقول فيه: «ثم خلف من بعدهم خلف آخر أحذق منهم نظراً وأقرب إلى الحقيقة، ولم يكن فيهم أثقب ذهناً ولا أصح نظراً ولا أصدق روية من أبي بكر بن الصائغ، غير أنه شغلته

(١) الباجة بالتشديد كما قال ابن خلكان وصاحب نفح الطيب ومعناها للفضة بلغة نصارى الأندلس
(٢) قلائد العقيان للفتح بن خاقان
(٣) Munk في كتابه Mélanges de phelosophie Juife et Arabe

(١) قلائد العقيان ص ٣٤٦ — ٣٤٧ (٢) طبقات الأطباء ص ٦٢

الدنيا حتى اخترمته المنية قبل ظهور خزائن علمه وبث خفايا حكمته . وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي كاملة ومجزومة[١] » ؛ وقد تأثر به ابن طفيل في حي بن يقظان تأثراً عظيماً ، وما حياة حي بن يقظان نفسه ووصوله إلى المعرفة الحقيقية في جزيرته الخالية من السكان إلا محاولة من ابن طفيل للبرهنة على رأى ابن باجه في تمكن العقل الإنساني من كشف أسرار الوجود وحده

## مؤلفاته

ذكر ابن أبي أصيبعة عدداً كبيراً من كتب ابن باجه وأهمها: شرح كتاب السماعي الطبيعي ، قول على بعض كتاب الآثار العلوية لأرسطو ، قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطو ، ثم تعليقات على كتابَي الحيوان والنبات لأرسطو ، وله تعاليق على بعض المسائل الهندسية ؛ أما مؤلفاته فكثيرة منها : كتاب في الاسطقسات : (النار والماء والهواء والتراب) وكلام في البرهان ، وكتاب النفس ، وكتاب اتصال العقل بالإنسان ، ورسالة الوداع وكلام في الغاية الإنسانية ، وفصول قليلة في السياسة المدنية ، ورسالة تدبير المتوحد ... إلى غير ذلك من الكتب

وليس لدينا وللأسف شيء من كتب ابن باجه ، ولقد أشار « مونك » إشارة موجزة إلى ما تحتويه رسالة الوداع سنذكرها فيما بعد ؛ ولخص أيضاً رسالة تدبير المتوحد ، أو نقلها عن العبرية رواية عن موسى الأربونى Moise de narbonne أحد فلاسفة اليهود في القرن الرابع عشر الميلادى ، وشارح رسالة حى بن يقظان . وقد ذكر بروكلن رسالة مخطوطة في مكتبة برلين حاول نشرها الدكتور فروخ[٢] ، ولم ينشر منها إلا صفحتين هما عبارة عن جمل مقتضبة غير متماسكة . ويظهر أن موضوع هذه الرسالة هو الغاية الإنسانية ، كما أن هناك رسالة في المنطق لابن باجه في مكتبة الأسكوريال سبقت الإشارة إليها في أول المقال ، وقد كشف أبو ريدة مترجم دى بور جزءاً من رسالة تدبير المتوحد في المكتبة التيمورية بمصر (رقم ٢٩٠)[٣]

### ١ — رسالة الوداع[٤]

كتب ابن باجه هذه الرسالة لأحد تلاميذه وأصدقائه قبيل اعتزامه رحلة طويلة حتى يكون على بينة من آرائه إذا قدر لهما ألا يلتقيا . وأول ما يظهر لقارئ رسالة الوداع رغبة المؤلف في إحياء معالم الفلسفة والعلم ، لأنهما في رأيه جديران بإرشاد الإنسان إلى الإحاطة بالطبيعة ، وبهدايته بعون الله إلى معرفة ذاته ، وبالاتصال بالعقل الفعال الذى يفيض من الله . ويتكلم فيها عن خلود النفس البشرية ، وعن العوامل التى تؤثر في الإنسان وتدفع العقل في سبيل الفكر ، وشرح غاية الوجود الإنسانى وغاية العلم وهما التقرب من الله عز وجل ، وكلامه في خلود النفس مبهم ، ويقول باتحاد النفوس[١] ، وقد أخذ بهذا الرأى ابن رشد وكان لرأيه أثر كبير عند الفرق المسيحية حتى اضطر القديس توماس وألبرت الكبير للرد عليه في مؤلفات خاصة . هذا وقد عاب ابن باجه الغزالى وقال : إنه خدع نفسه وخدع الناس حين قال في المنقذ من الضلال : إنه يستطيع أن يكشف العالم الحقيقى والعقلى ويرى الأمور الآلهية بالخلوة ويلتذ التذاذاً كبيراً

ومن هذا نرى أن ابن باجه يهاجم الغزالى بعد أن كان تأثيره عظيماً في بلاد المغرب ، وبعد أن أسكت صوت الفلسفة في المشرق ، وتراه لا يؤمن إلا بطريق العقل سبيلاً للوصول إلى المعرفة الآلهية

### ٢ — رسالة تدبير المتوحد[٢]

ذكر هذه الرسالة ابن رشد في آخر كتابه على العقل الهيولانى حيث قال : « أراد أبو بكر بن الصائغ أن يختط خطة للمتوحد في هذه الأمة ، ولكنه لم ينجزها وكثير منها غامض ، وسنحاول في غير هذا المكان شرح غاية المؤلف من هذه الرسالة لأنه أول من سار في هذا المضمار ولم يسبقه فيه أحد »[٣]. بيد أن ابن رشد لم ينجز وعده ولم يبق لنا إلا ما نقله مونك عن موسى الأربونى ، وهذا المخطوط الموجود بالمكتبة التيمورية وهو غير كامل

وقد قسم الأربونى هذه الرسالة ثمانية فصول ، ويظهر أن غاية ابن باجّة فيها هي إثبات قدرة الإنسان المتوحد المنتفع بمحسنات

(١) حي بن يقظان طبعة دمشق ص ٦٦

(٢) مجلة الأمالى السنة الأولى عدد ١١ ص ٢٩

(٣) دى بور ترجمة أبي ريدة ص ٢٤٦ ( هامش رقم ١ )

(٤) Munk, Mélanges p. 386

(١) مجمل هذا الرأى على حد ما ذكر ابن رشد : أن العقل الفعال يفيض بالصور والمعقولات من عند الله سبحانه ، ولما كان الله أزلياً كان العقل الفعال أزلياً كذلك ، لأنه جزء من الكون الذى يقول ابن رشد بأزليته ، وهذه المعقولات والصور التى يفيض بها العقل الفعال دوماً لا بد أن تحل ولا تحل إلا بانسان ، إذاً فأزلية العقل الفعال تستلزم أزلية الانسان ( النوع الانسانى ) ، ومعنى اتحاد النفوس أنها ممثلة في العقل الفعال الدائم الخالد ، وأن الانسانية دائمة خالدة ، وأنها تتحد في العقل الفعال

(٢) مونك ص ٣٨٩ (٣) المرجع ذاته

الحياة البعيد عن مفاسدها ، على الاتصال بالعقل الفعال بقواه الفكرية وحدها . ولا يوصى ابن باجة بالخلوة – كما يفهم من لفظ التوحد – إنما يرشد الإنسان المشتغل بشئون الحياة إلى سبل الوصول إلى الكمال ، وهو يشير إلى إمكان ذلك سواء كان هناك رجل واحد أو عدة رجال فى درجة واحدة من الفكر ، وقد يستطيع هذا أهل بلد بأسره إذا كان تام النظام . ولم تخف على ابن باجة صعوبة هذا الأمر فأوصى المتوحد بالعيش فى أغزر المدن علماً ، أى فى أقربها إلى الكمال ، وأجمعها لأهل الفضل والحكمة . وسنعرض فيما يلى أهم ما جاء بهذه الرسالة نقلاً عن « مونك » مختصرين ما أمكن(١)

### الفصل الأول

تكلم ابن باجة أولاً عن لفظ « تدبير » وأنه يدل فى أوسع معانيه على مجموعة من الأعمال ترمى إلى غرض معلوم ، فلا يمكن أن يستدل به على عمل واحد ، بل على جملة أعمال تنجز تبعاً لخطة معينة كالتدبير السياسى والحربى . وينبغى أن يكون تدبير المتوحد على مثال تدبير الحكومة الكاملة ، ومن علامات الحكومة الكاملة ألا يكون بها أطباء أو قضاة ؛ لأن أهل هذه المدينة لا يتناولون من الغذاء إلا ما يوافقهم ، وبذا تختفى الأمراض الناجمة من الغذاء ، وأما الأمراض التى تصيبهم بسبب عوارض خارجية فتزول بنفسها . ولما كانت العلاقة بين أهل المدينة بعضهم مع بعض أساسها المحبة امتنع الخلاف فاستغنى عن القضاة . والحكومة الكاملة تكفل للفرد أن يبلغ فيها أرقى منزلة من الكمال ؛ لأن الكل يفكرون بأعدل تفكير ، وينظرون أدق نظر ، ويطيع كل فرد ما تأمر به القوانين ، لأنه يكون عالماً بها ، وبذلك تخلص أعمال الإنسان من الخطأ والهذر والخلل فلا يكون الناس بحاجة إلى الطب الأخلاقى وهو ما لا غنى للجمهوريات الناقصة عنه ( البقية فى العدد القادم )

( بيروت ) محمد الدسوقى

(١) وجدنا فى كتاب تاريخ فلاسفة الاسلام للأستاذ محمد لطفى جمعة ترجمة لما ذكره مونك عن ابن باجة ونقلا لكتاب تدبير المتوحد ، ولكن من الأسف لم يذكر الأستاذ جمعة أنه نقله عن مونك ، كما أن ترجمته تدل إما على قلة اكتراث أو عدم فهم ، وذكر كذلك ما نقله مونك عن الفتح ابن خاقان وطعنه فى ابن باجه الذى نقلناه سابقا ولم يرجع إلى قلائد العقيان لينقل منه النص العربى فجاءت ترجمته مشوهة ، كترجمته لتدبير المتوحد ، وهذه زلة من الأستاذ كنا ننزهه عنها

## رسـالات . . .

### الغيرة

إنى لتدركنى الشفقة أحياناً على هذه الكلمة المفردة ، كما يشفق امرؤ ذو قلب على عزيز قوم ذلّ ، وغنىّ قوم افتقر . إن أحداث الزمان قد جارت عليها ، وإن الدهر القُلَّب الذى يتنكَّر لكل شىء قد تنكَّر لها . إنها كالموظف المعزول الذى لم يعد يظهر فى ديوان عمله ، أو كالعقد الثمين المتألق الذى لا يجد صدراً يزينه . إنها كالقلادة الرفيعة التى مات صاحبها وبقيت فى « مخلفاته » تندبه فى صمت ، وتذكِّر به كلما رمقتها العيون !

لقد كانت « الغيرة » معنى مشرقاً فى صدور الرجال ، فأصبحت رسماً باهتاً فى بطون الكتب ؛ وكانت « مادة » ملموسة بارزة الأثر فى حياة الناس ، فأصبحت « مادة » قابعة فى قواميس اللغة !

لقد فتشت عنها فى نواح كثيرة من نواحى الحياة ، فلم أجدها كنت أحب أن أجدها : لم أجدها فى البيت لأنى وجدت « المرأة » تحكم « الرجل » ، فلا يغار على حقه المغصوب ، ولا يألم لسلطانه المسلوب ؛ ولم أجدها فى الطريق ، لأنى وجدت المخازى تعرض على قارعته فى صور مألوفة ، وأشكال معروفة ، فلا يغضب عليها غضبٌ ولا يحمَى بها صدرُ مِغيار ! ولم أفتقدها بين سُمَّار الليل فى النوادى الآثمة والمجتمعات المتهتكة ، لأنى أعلم كيف تصرع هناك الفضيلة ويصفع الحياء ! ولم أجدها فى « مكاتب الموظفين » ، لأنى وجدت الأعمال فيها مهملة ، والأوراق مكدسة والناس على أبوابها يستصرخون ولا من يجيب الصريخ !

وأخيراً ، فتشت عنها عند الذين يتنادَوْن « بالإصلاح » ، ويتحلَّوْن « بالفضيلة » فلم أجدها : لم أجد من يغار على البرامج المعطلة ، والأمانة المضيعة ، والوعود المهملة ، والفساد الذى استشرى ، والنار التى تومض من خلال الرماد !

فأين – يا رب – أجدها ؟ أين « الغيرة » ؟ ! .

محمد محمد المدنى

# السيلو هو السيرة والسير

للأب أنستاس مارى الكرملى

( تتمة ما نشر فى العدد الماضى )

## ٤ — السيرة أو السير لمخزن الميرة فى بعض لغات الشرق الأولى

ذكرنا بعض الألفاظ المقابلة لهذه الكلمة فى اليونانية ، واللاتينية والإنكليزية والفرنسية والإسبانية ، فيحسن بنا الآن أن نذكر لها مقابلات فى بعض اللغات المبثوثة فى الشرق الأدنى . فنى التركية يسمى هذا المخزن ( كندوج ) بالفتح وقد نقلوها من الفارسية ( كندو[١] ) بالفتح . « شىء يبنى كهيئة الدن ، فيجعل فيه الدقيق وغيره ، وهى فى التركية الكنجاكية . وأما الترك الصميم فيقولون : كَنْدُك ، بفتح الكاف وإسكان النون وضم الدال المهملة وفى الآخر كاف . وقد توسعوا فى معناها حتى أطلقوها على كل صبرة عظيمة من الطعام يصومع ويصمد حتى يظهر للناظر إليه كأنه دن كبير موضوع على وجه الأرض ، فسبب التسمية واضح ، فما الكندوج أو الكندك الآدنّ كبير أو كما يسميه الغربيون ( سيلو ) .

وقد قال صاحب محيط المحيط بهذا الصدد ما هذا نصه بأصله : « الكندوج [ وقد ضبطها ضبط قلم بالضم ] شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها . معرب كندو بالفارسية » انتهى .

وهو ترجمة نصّ فريتغ ترجمة غير مضبوطة وهذه عبارته بحروفها اللاتينية :

( Pers كَنْدُو ) Structura, in puam recondvnt res, ei similis, puam مخزن Appellant. Karr كَنْدُوج Vasa a liasve

ومعناها على ما يبدو لى : الكَندوج[٢] بناية على هيئة مخزن تحفظ فيها « الآنية وسائر الأشياء » انتهى . فالظاهر من هذا الكلام أن فريتغ لم يفهم كلام صاحب القاموس ، فأساء فهماً وأساء نقلاً ثم أخطأ كل من جاء بعده نقلاً عنه . وعلى أثره أخطأ جميع اللغويين المحدثين من العرب وجماعات المستشرقين النقلة ، وليس لنا متسع لإظهار شوائبهم ومعايبهم فهى أكثر من أن تحصى . فنكتفى بما نقله الشرتونى فى أقرب الموارد . قال : الكُندوج ( وضبطها ) بالضم جرياً على القياس اللغوى لا على السماع[١] والنقل على حد ما فعل صاحب المصباح وهو ليس حجة يعتمد على لغته الفصحى لأن لغته عربية فقهية وهى عثرة فى طريق المحققين : شبه مخزن من تراب أو خشب توضع فيه الحنطة ونحوها ( معرّب ) وفى المصباح : « ويطلق على الخزانة الصغيرة »

وقال صاحب البستان : الكندوج ( وضم الأول أيضاً ) : شبه مخزن من تراب أو خشب تحتكر فيه الحنطة دخيل ( ٥ — قلنا وقوله : تحتكر تغيير لقول الشرتونى « توضع فيه » وهذا هو الصواب لأن الغاية من وضعه فى الكندوج حفظه من الآفات الجوية لا الاحتكار وهذا وهم منه ، فأراد أن يغير عبارة الشرتونى فى نصها ويحسّنها ليبيّن تفوّقه عليه أو اختلافه عنه فاضرّ نفسه إذ لم يخفَ على أحد نقله وفساد معناه .

وورد فى معنى مخزن الطعام فى الكردية : چال وچالو وچاله . ونكتفى بهذا القدر .

## ٥ — المطمورة بمعنى مخزن الطعام

نظن أننا وفينا موضوع ( السيرة ) و ( والسير ) حقه من البحث . بقى علينا أن نعالج موضوع (المطمورة) وقبل أن نعرفها ، نقول للواقفين على مقالنا هذا : إن المطمورة وردت بمعنيين : معنى ذكرته كتب اللغة ومعنى أهملته ، فنبدأ بذكر الأول فنقول :

المطمورة على ما ورد فى القاموس : « الحفيرة تحت الأرض » وزاد فى التاج : يوسع أسافلها ، تخبأ فيها الحبوب . والجمع المطامير : وطمرتها أنا : « ملأتها » — والكلمة قديمة فى لغتنا الشريفة وهى فى العراق من أقدم الألفاظ على ما نعهد . وقد ذكرها الليث

(١) وهى فى أصل معناها على ما فى كتاب ( ديوان لغات الترك ، لمحمود بن الحسين بن محمد الكاشغري الذى ألفه سنة ٤٦٦ للهجرة والمطبوع فى المطبعة العامرة فى دار الخلافة العلية سنة ١٣٣٣ هـ الجزء ١ : ٣٩٩ )

(٢) وهى مضبوطة بالفتح ، وهذا هو الصحيح الوارد فى جميع نسخ القاموس المخطوطة المضبوطة ضبطاً . والبناية قد تكون من الخشب أو من التراب باللغة اللاتينية كما فى العربية

(١) مما حفظنا وارداً على فعلول المفتوح الأول ، نقلا عن الأئمة الأثبات الثقات — وهى مدونة فى معاجم اللغة : صعفوق ، وترنوق ، وصعفول ، وطرخون ، وبرشوم ، وقربوس ( على لغة ) : وبعكوك ، وكرموس ، وسندوق ( على لغة ) وسنطور ، وسنطور ، وقرقوف ، وطرخون ، وزرنوق ، وزرزور — ومن الأعلام : شمعون ، وسنهور ، وسعدون ، وخلدون ، وعبدوس ، وشمحون ، وعبدون ، إلى غيرها .

فى عينه فقال : « المطمورة : حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ ( ج ) مطامير » . وكل من جاء بعد الليث وألف كتاباً فى اللغة نقل هذه العبارة ولم يعزها إلى قائلها الأول وهى نفس العبارة التى أخذها عنه الزمخشرى فى كتابه ( مقدمة الأدب ) فى ص٢٣ من نسخته المطبوعة وهذا نصها : ( المطمورة : جاء . غـلّه وفى النسخة المحفوظة فى الخزانة البدليانية فى مدينة اكسونية زيادة هى : المطمورة حفرة يطمر فيها الطعام أى يخبأ . ج : مطامير » ٥١

وأهل العراق يُسمُّون بالمطمورة كل ما يتخذ لحفظ الطعام فيه ، إن كان فى بطن الأرض ، وإن كان على وجهها ، فهى كاللفظة الإفرنجيـة Silo تتخذ للدلالة على المنيين أى بمعنى السرداب فى بطن الأرض والمخزن الذى يبنى على ظهرها . وهى عامة الاستعمال فى شمال العراق إلى جنوبيه ، ولا ينطقون بغيره ، فإذا كان لحفظ الغلة فى بطن الأرض كان الوطن مهيأ دائماً . أما إذا كان فوق الصعيد فإن أصحابه يجعلونه جرة عظيمة ، ثم يسنمونها على هيئة مخروط ثم يسيّمونها ويصمدونها ، حتى إذا نزلت بها نوائب الجو من مطر وثلج ورد ورياح قاومتها أحسن مقاومة ودفعت أضرارها على أتقن وجه وأسدّه

فتسمية أبناء الرافدين هذين الضربين من مخزن الطعام لا غبار عليه وإن اختلفت هيئتهما لأن أصل التسمية صار يقع على معنى « المخزن » الحافظ للغلة ، أياً كان شكله . ولهذا فالعراقيون يحتفظون بهذا الاسم لقدمه عندهم ، ولصحة عربيته ، ولبقاء الأسماء على مسمياتها وإن اختلفت صورها وأشكالها وكيفية اتخاذها

وأهالى شمالى العراق يسمون مخزن الطعام على وجه الأرض اللوث ، وتلفظ بالفتح أى Loth ويجمع على ألواث على ما أفادنى ولدى بالروح ( ميخائيل حنا عواد ) وهو من نوابغ الشبان ، ويصنع بأن تحفر دائرة فى الأرض عمقها بين ١٠ و ١٥ سنتمتراً تسع الكمية الموجودة عند صاحب الطعام ، ثم تكدس الغلات شيئاً على شىء من تبن أو شعير أو حنطة وتجمع على هيئة مخروط وُيسيَّع خارجها ويصمد ، حتى إذا جاءت الأمطار وانحدرت عليها ولت فى وجهها بسرعة من غير أن تبقى فيها أثراً . والذين يكدسون الأطعمة على وجه الأرض من حنطة أو شعير يكونون أرباب حول وطول ، ولهم نواطير أقوياء يذبون عنها اللصوص والسراق . وأما الذين لا نواطير لهم فيجعلونها فى چالات (جمع چال) يحفرونها فى الأرض ويقيدونها بالقار الحسن منعاً لتسرب الماء والرطوبة إليها وچال (ويقال چاله وچالو) كردية معناها هذه الحفيرة

واللوث من أصل عربى فصيح معناه فى أصل وضعه : القوة والشدة لأن جمعك الشىء على الشىء الآخر تعصيبه وتشده ، ومن هذا أيضاً قولهم : هذه ناقة ذات لوثة إذا كانت كبيرة الشحم واللحم معصوبة مشدودة ولا يمنعها ذلك من السرعة فهى فى صفة حسنة لها

وقد ذكر لى ولدى ميخائيل أن بعض المزارعين فى أنحاء بغداد يسمون ( المطمورة ) التى تقام على سطح الأرض ( جبراية ) والجمع جبارى . وأما الذين فى أرجاء تكريت فيسمونها جبريَّة وزان قبطية . وأما أهل ديار المنتفق فى جنوبى العراق فينطقون بها على أصلها الفصيح بالميم ، أى أنهم يقولون ( جُبْرِيَّة ) وهى من مادة ( جبر ) أى جمع شيئاً على شىء ، ورفع رأس المجموع . وهذا التحقيق من وحى المؤرخ المحقق الأستاذ يعقوب نعوم سركيس حفظه الله ورعاه

ومما ذكره لى ولدى بالروح ميخائيل عواد أن لأهالى تكريت ومن فى أنحائها لفظاً آخر لهذه المطمورة هى ( اللّـود ) وتلفظ Lod وتجمع على ألواد ، والهمزة لا تكاد تلفظ وكأنك تلفظها بإسكان اللام وهى عندهم غرفة مستطيلة أو مربعة يخزن فيها التبن وأحياناً الحنطة والشعير ولا تكون مسقوفة فى أغلب الأحيان ، وتكاد تكون أرضها بمستوى سطح ما يجاورها من الأرضين أو ما انخفض عنه بقليل . و (اللود) يعرفها بهذا اللفظ وهـذا المعنى أعراب شمر من عشائر العراق وتشبه كل الشبه ( اللوث ) المار ذكرها والمستعملة فى الموصل وأرجائها . ولعلها لغة فيها ، وقد ورد مثل هذه اللغة عند كثيرين من الأقدمين فقد قالوا : مدد الخبز ومرثهُ . وقالوا : الشيِث تعريب الفارسية شِود وقد قلبت الواو ياء والدال المهملة الفارسية ثاء مثلثة

## ٦ — المطمورة بمعنى السجن والمطبق

وأشرنا إلى أن للمطمورة معنى آخر ، لم يرد فى معاجم اللغة وكان معروفاً فى القرون الوسطى أى فى عهد العباسيين ، بموجب التعبير العربىّ . وهذا المعنى هو السجن المظلم يسجن فيه المحكومون عليهم بالحبس الأبدى وورد أيضاً بمعنى جب عميق مغطى بغطاء ينقلب للحال بمن يطأه تخلصاً منه بسقوطه فيه وموته فيه حياً

جاء فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى فى ٣ : ٢٢٠٧ فى طبعة الإفرنج ما هذا نقله : « وفى يوم الثلاثاء لثمان خلون من جمادى الأولى ، دخل المكتفى إلى داره بالحسنى ، فلما صار إلى منزله

أمر بهدم المطامير التي كان أبوه اتخذها لأهل الجرائم » . انتهى

وفي مروج الذهب ( ٨ : ٢١٥ من طبعة الإفرنج ) : « وأمر بهدم المطامير التي كان المعتضد اتخذها لعذاب الناس وإطلاق من كان محبوساً فيها ، وأمر برد المنازل التي كان المعتضد اتخذها لموضع المطامير إلى أهلها وفرق فيهم أموالاً »

ويخيّل إليّ أنه كان في العراق وديار الشام ووادي النيل وسائر البلاد الشرقية مطامير مختلفة العدد وقد اتخذت في قرى عديدة حتى أن بعض القرى بقي اسم المطامير عليها لاشتهارها بها وإن زالت عنها . وقد جاء في معجم البلدان لياقوت : « مطامير جمع مطمورة ، وهي حفرة أو مكان تحت الأرض وقد هيئ خفياً يطمر فيه الطعام أو المال ، إسم قرية بحلوان العراق ، وذات المطامير بلد بالثغور الشامية له ذكر في كتاب الفتوح . . . ويقال له : المطامير أيضاً غير مضاف »

وفي كتاب الأنساب للبلاذري بعد أن ذكر إلى أي ضيعة نسب أبو محمد الطاميري قال : « وتوفي في جمادى الآخرة سنة ١٦٣هـ ، وكان فتوحها على ما قال الطبري ( ٢ — ١٦٦٧ ) سنة ١٢١هـ على يد مسلمة بن هشام بن عبد الملك » فيظهر من هذا أن العرب كانوا يعرفون المطامير واتخاذها للطعام وللسجن قبل الإسلام ، على ما يرى في استعمالهم لتلك الأسماء

ولما مر ابن بطوطة في المائة الثامنة للهجرة = ١٤ للميلاد بندربار من ديار الهند رأى أن كل مسلم يشرب الخمرة يجد ثمانين جلدة ويسجن في مطمورة ثلاثة أشهر لا تفتح عليه إلا حين طعامه » ( راجع رحلة ابن بطوطة طبع الإفرنج ٤ : ٥٢ )

ومن يطالع في معجم دوزى ما جاء على المطامير منقولاً عن المسافرين والكتبة يتحقق أن المطامير كانت في جميع ديار الشرق الأدنى لغايات مختلفة فلتراجع فيه إذ قد ضاق بنا الوطن عن هذا البحث الجليل

أما من يحب أن يتابع في تصانيف الإفرنج هذا الموضوع فعليه بمطالعة ما جاء باسم Oubliettes الإنكليزية وبعنوان Oubliette بالفرنسية فيقع على حكايات وتفاصيل في غاية الغرابة والعجب والاستفادة . ثم كتب عديدة تبحث في هذا الموضوع

## ٧ — مترادفات المطمورة وما يقابلها في لغات الأمم الشرقية

رأينا العراقيين لا يستعملون إلى اليوم إلا لفظة واحدة هي ( المطمورة ) والآن أخذ بعضهم ينبذون استعمال هذه اللفظة ظناً منهم أنها عامية وأخذوا يستعملون في مكانها ( الهُرْى ) ويجمعونها على ( أهراء ) قلنا : إنهم في ضلال مبين ، لأن المطمورة وردت في جميع كتب الفصحاء التي تكلمت على أمثال هذه المخازن ولم تهملها . وثانياً لأنها صحيحة الاشتقاق من لغتنا المحضة وثالثاً لأن المطمورة استعملت لمخزن الطعام الذي تحت الأرض ، ولما فوق الأرض . . قال في النهاية في مادة ( ط م ر ) « وفي حديث مطرف : من نام تحت صدف مائل وهو ينوي التوكل فليرم نفسه من طمار وهو ينوي التوكل : طمار بوزن قطام : الموضع المرتفع العالي . وقيل : هو اسم جبل ، أي لا ينبغي أن يعرض نفسه للمهالك ويقول : قد توكلت . انتهى كلام ابن الأثير فهنا نص واضح على أن مادة طمر تفيد الدفن والحبس وتفيد أيضاً العلوّ والارتفاع ، فصحّتْ إذن المطمورة للاستعمالين .

ورابعاً أن الهرى يقابل الإفرنجية Grange والإنكليزية Granary فهو إذن غير المطمورة .

خامساً أن الهرى ليست عربية بل لاتينية Horreum ومعناها كما هو في العربية أي البيت الكبير يجمع فيه طعام السلطان فليست إذن بالمطمورة وهل نبدل الصحيح الفصيح بالدخيل القبيح ؟

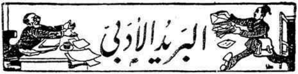
وقد ذكرنا سابقاً ما يقابل مخزن الطعام في الأرض في الفارسية والتركية والكردية . وأما في الإرمية ( السريانية والكلدانية ) فالمطمورة تسمى ( مطمورتا ) وتجمع على ( مطموريانا ) كما هو مدون في معاجمهم المعتمدة ومعناها المخبأة أيضاً

## ٨ — خلاصة هذه المقالة وزبدتها

خلاصة هذه المقالة وزبدتها : أن اللفظة الغربية (سيلو Silo) من أصل عربيّ هو ( سَيْر ) بالفتح ، أو ( سيرة ) بالكسر ، ثم نقل إلى الأوربية باللام ، على لغة كانت لبعض قدماء العرب ينطقون بالراء لاماً في كثير من الألفاظ . ولا نزال نسمع مثل هذا الإبدال إلى عهدنا هذا ، ولا سيما في ديار العراق

ولقد وجدنا أحسن لفظة تستعمل اليوم بمعناها هي (المطمورة) لأنها خالية من معنى ثان يشوشها ، ولأنها عربية صميم لا غبار عليها ، ولأنها مستعملة في العراق منذ عهد العباسيين ، بل قبل وجودهم فيه ، ولأن كل كلمة سواها كثيرة المعاني تفسد المعنى الرئيسي الأصيل ، ولأن ( الصومعة ) وجمعها ( صوامع ) لا ينجلي لأبصار الأدباء إلا بمعنى مسكن الراهب أو ما يشبهه . فما بقي علينا إلا أن نتبع الفصيح المتمتع الذي قاوم الأدهار ، وصبر على فساد الأشرار ، ووبلغ إلينا سالماً من كل الأخطار !

( بغداد ) الأب أنستاس ماري الكرملي




## حول غزل السلطان سليم

قرأت فى عدد « الرسالة » الأخير قصيدة غزلية للسلطان سليم الأول فاتح مصر نشرها الأستاذ عبد الله مخلص ، وقد سبق أن رأيت هذه الأبيات فى مصادر أخرى غير التى استقى منهـا الأستاذ ، وهى مباينة لما نشره الأستاذ منها ، أما المصدر الذى تحت يدى فهو « عثمانلى تاريخ وأدبيات مجموعة س » بتاريخ ٣٠ نيسان سنة ١٣٣٤

وقد اطلعت على القصيدة أيضا فى « خلاصة الأثر فى أعيان القرن الحادى عشر » . وهناك خلاف فى نسبة هذه القصيدة فقد جاء فى « دائرة المعـارف » أنها للسلطان أحمد خان الأول ، وجيء مكان البيت السادس ببيت آخر لطلائع ابن رزيك الوزير الشاعر العربى المتوفى سنة ٥٥٦ ، وقيل إن البيتين الأخيرين مع بيت المقطع لابن رزيك

وغزل ابن رزيك موجود فى وفيات ابن خلـكان وهو عبارة عن سبعة أبيات ، وهو خلاف غزل السلطان سليم المنشور فى عدد « الرسالة » ٤٦٢ ، وهو برمته للسلطان نفسه

أما سبب الأخطاء التى وقع فيها صاحب خلاصة الأثر ودائرة المعارف ، وبعض المجاميع الأدبية التى تقول إنه للسلطان أحمد أو إن بعض أبياته لابن رزيك فيرجع إلى أن غزل السلطان فيه تشابه مع أبيات ابن رزيك فى الوزن والقافية .

ثم إن القصيدة التى بين يدى سبعة أبيات لا غير ، أما التى جاء بها الأستاذ مخلص فأحد عشر بيتاً . هذا إلى أن الشطرات والمصاريع الموجودة بين الأبيات الـكاملة غير موجودة فيا قرأت من المصادر . فما رأى الأستاذ فى هذا ؟

ثم هناك تباين بين نصى القصيدتين ، فقد جاء فى البيت الأول فى القصيدة المنشورة بالرسالة « قر يصول . . . » وعندى « ظبى يصوْل » ثم فى البيت الثـانى : « ماقام معتدلاً يهز قوامه » وعندى « وهز » إلى غير ذلك والأبيات ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ المذكورة فى « الرسالة » غير موجودة أصلاً فى المصادر التى أشرت إليها .

فإلى الأستاذ مخلص ، وإلى جمهور قراء الرسالة من الباحثين أقدم هذه المشكلة لعل أحدهم يستطيع أن يلقى ضوءً نستنير به

**ابراهيم أحمد أدهم**

## السلطان « سليم » والشعر

قرأت الشعر الذى أورده الأستاذ الفاضل عبدالله مخلص منسوباً إلى السلطان سليم العثمانى ؛ وأنا لا أجزم بتزوير هذا الشعر على السلطان ؛ ولـكنى أقول : إنه « تخميس » لقصيدة فى الغزل ، من تلك « التخميسات » التى لهج بها شعراء العصر التركى . ويستطيع القارئ أن يستخرج القصيدة الأصيلة من ثنايا الشعر ، وأولها :

قمرٌ يصول ولا وصـول إليه     جرحَ الفؤاد بصارمي لحظَيه

فيجدها ملتئمة اللفظ ، متسقة المعنى ، بعد حذف هذه الإضافات الظاهرة بها ، والتى استوجبها فن « التخميس »

فهل يُنسب للسطان أصلُ القصيدة أم تخميسها ؟ أم هو صاحب الأصل والتخميس معاً ؟ ذلك ما نسأل عنه الأستاذ المخلص على أن السلطان سليم لم يشتهر بإجادته اللغة العربية ، فضلاً عن نظمه الشعرَ فيها ؛ وإن كان بعض المصادر يشير فى معرض الحديث عنه إلى كثرة مطالعته للتواريخ وتفرُّسه فى اللغتين : الفارسية والرومية : ( أخبار الأُوَل للاسحاق )

فإذا أضفنا إلى ذلك شهرةَ هذا السلطان التى قد تغرى بعض الشعراء بنظم أشعار ينسبونها إليـه ، ويذكرون فيها « الُملك والسلطان » تموبهاً على الرواة والناقلين — جاز لنا أن نشك فى نسبة هذه القصيدة إليه ، كما نشك فيما يذكرونه من أنه خطَّ بيده على مقياس الروضة — حيث كان ينزل أثناء مقامه بمصر — هذين البيتين ، وهما :

الملك لله ، من يظفر بنيل منى ... يردّ فقراً ويترك بعده الدركا
لو كان لى أو لغيرى قدر أنملة ... فوق التراب لصار الأمر مشتركا!

ولا يبعد أن يكون هذا من قبيل ما يُنسب من الشعر إلى «آدم» أبى البشر ، وإلى إبليس وبعض « الهواتف » من الجان . . . مما كان يتخطفه الرواة والناسخون، لطرافة مصدره، وغرابة مخبره

« جرجا » محمود عزت عرفة

## طبع رسالة الحج

طلبت إلى الأستاذ حافظ عامر بك أن يكشف الغموض الذى ضرب بعضهم حول تأليفه ( رسالة الحج ) فقال :

أتيح لى أن أؤدى فريضة الحج أيام كنت سفير مصر فى جدة عام ١٩٣١ / ١٩٣٥ فجمعتنى المناسبات بالفيلسوف الهندى الشيخ عبيدالله السندى ومريده الدكتور سيد فيروز زيدى فتحدثت إليهما عن أسرار الحج وفلسفته حديثاً حرصاً على حفظه لما له من الأهمية

ولقد نعيت فيه على قادة الرأى الإسلامى إهمالهم قاعدة إسلامية أساسية ألا وهي حج بيت الله الحرام . ثم انفض موسم الحج وأخذت طريقى إلى جدة مقر عملى الرسمى فى القنصلية المصرية .

وما كاد يستقر بى المقام حتى لحق بى الدكتور فيروز زيدى موفداً من قبل أستاذه الشيخ السندى لأخذ مذكرات لشتى أحاديثى عن الشئون الإسلامية عامة ورسالة الحج خاصة ، ولم يكن لدى من الأحاديث المدونة غير نقاط دونتها فى مذكرتى، فاستبقيت الدكتور فيروز حتى أتممت له رسالة فى أسرار الحج وفلسفته ، وطلبت من الدكتور أن يكتب ما أمليته عليه من صورتين بالآلة الكاتبة ، وأخذ الدكتور صورة للأستاذ الفيلسوف الهندى واحتفظ بالصورة الأصلية . ثم سافر الدكتور فيروز وهو يقول : ( لقد أهديت إلىّ يا سيدى كنزاً ثميناً من التعاليم السامية التى لا تشترى بالذهب وهديتنى بتوفيق الله ووجهتنى توجيهاً صحيحاً نحو الإسلام الخالد الصالح لكل زمان ومكان ) »

وحدث أن زار حافظ بك مصر وطنه فانتهز هذه الفرصة لطبع الرسالة ونشرها فى العالم الإسلامى وكذلك فعل فكانت الطبعة الأولى من رسالة الحج ، ولقد كان نصيب الشيخ عبد الوهاب الدهلوى من رسالة الحج لحافظ بك أن أهديت إليه نسخة من الطبعة الأولى فى أثناء تجواله ببغداد ، فهل ترد الهدية بعد بضع سنين بالتجنى على مهديها ؟

سيد عثمان المراغى

## كم ذا من جديد

طلبت إلى حضرات القراء — فى شىء من الرجاء — أن يدلونى على شاهد من الصحيح الفصيح وردت فيه « كم » مقترنة بـ « ذا » حتى يكون ذلك هو الفيصل بينى وبين إخوانى الذين اختلفتُ معهم فى بيت « حافظ » — كم ذا يكابد عاشق ويلاقى - فإنى لم أعثر إلا على بيت « المتنبى » - وكم ذا بمصر من المضحكات — وهو مما لا يصح الاستشهاد به من ناحيتين :

الأول : أن « أبا الطيب » لا يعتبر فيمن يؤخذ عنهم الفصيح الصحيح ...

الثانى : أن الرواية متضاربة ، فتارة : « كم ذا » ، وأخرى : « ماذا » ...

ولكن الأستاذ البشبيشى أبى إلا أن يشرفنى بالرد ، فراح يعرب ويخرّج ويؤول ... فهل يتفضل « من جديد » بإعادة النظر ، لعله يأتى بما يقنع ؟... فإنى أرجو أن يكون « أبا حسن » هذه القضية ...

ابراهيم على أبو الخشب

## فى الفن الإسلامى

كتب إلىّ قارئ فاضل يسألنى أن أكتب فى ناحية معينة من (الفن الإسلامى)، وشاء أن أجيبه على صفحات (الرسالة الصديق) وإنى إذ أشكر لحضرته ما غمرنى به فى خطابه من كلمات طيبة ، أرجو أن تتيح لى الظروف قريباً إجابته إلى سؤله

محمد مصطفى

## جريدة الوفاق فى عامها الخامس عشر

استقبلت جريدة الوفاق عامها الخامس عشر من عمرها المديد ؛ وهى تعالج الأدب والسياسة والاجتماع ، ولم يفتها — وهى التى تصدر فى غير العاصمة — أن تعنى بالناحية الإخبارية فضربت فى هذا المجال بنصيب

---

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٧٧ سنة ١٩٤٢ بحبس عثمان محمود عثمان الجندى فلاح من جريس مركز أشمون خمسة عشر يوماً بالشغل لبيعه قمحاً بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنوفية العسكرية فى الجنحة ٢٢٠ سنة ١٩٤١ بتغريم كل من محمد محمد تويشى ومحمد محمد محمد تويشى الجزارين بشبين الكوم ٣٠ جنيها لبيعهما لحوما بسعر أزيد من التسعيرة

حكمت محكمة المنصورة العسكرية فى القضية رقم ١٠٣ سنة ١٩٤٢ ضد عبده عبد المحسن عبده من المنصورة بالحبس شهراً بالشغل لبيعه لحوماً بأكثر من التسعيرة




قصة مصرية

# واصلون ومنبتون

## للأديب لبيب السعيد

لم يكن يرى شيئاً من هذه المناظر الجميلة المتنوعة التي يمرّ بها القطار ، ولم يكن يسمع شيئاً مما يدور حوله من أحاديث الناس . كان في دنيا الماضي يجوس خلالها ، ويقف على بعض مشاهدها وقفات طويلة مفكرة . هو ماض أليم ، ولقد كان نجح بعد جهود مرّة في إسدال الستار عليه ، وفي نسيان ما فقد فيه من آمال عزيزة قرّح فقدها قلبه قبل جفنه ، ولكن هذا الماضي انبعث الساعة أقوى وأوجع ما يكون !

كان يرتقب قطار الأسكندرية الذاهب إلى مصر ، فما راعه إلا ضابط كبير من رتبة « قائمقام » يربت على كتفه في بعض العنف قائلاً : « مجاهد ! من أين وإلى أين » . ولقد ذعر مجاهد أول الأمر إذ وجد صاحب اليد التي تربت على كتفه ضابطاً كبيراً لا يعرفه ولا يذكره ، ولكنه ما لبث أن ملك نفسه حين تبسم الضابط ضاحكا وهو يقول : « ألا تعرفني ؟ ألا تذكر محمد رأفت زميلك في مدرسة القربية الابتدائية في مصر ؟ ما أضعف ذاكرتك وأقل وفاءك ! ألست تذكرني حقيقة ؟ وهل نسيت ثالثنا ابراهيم عثمان ؟ إني أذكر بيتكم في القربية ، كم لعبنا فيه أنا وأنت وإبراهيم ! وأين ابراهيم يا مجاهد ؟ وأين مستقرك أنت الآن ؟ » وأجاب مجاهد في انكسار واختصار : « إبراهيم لا أعرف عنه شيئاً . إن خمسة وعشرين عاماً ليست قليلة يا بك . فأما أنا - وألقى بطرفه إلى الأرض خجلاً - فدرس هنا في طنطا في مدرسة شمس المعارف الأهلية . . . »

وجاء القطار ، فتصافحا وافترقا : الضابط إلى عربات الدرجة الأولى ، ومجاهد إلى عربات المؤخرة . . .

كان هذا اللقاء التّبرر الذي سعّر الوجد في صدر مجاهد ، ليس من حقد على زميله الذي ابتسم له الزمان فسار إلى غايته ، ولكن حقداً على الزمن الذي كاد له فرده خلف الصفوف . . .

ما أمض أن يتطلع إنسان فيرى رفاقه تقدموه على حين يرى نفسه منبتّاً فاقد الأمل ! لقد كان مجاهد أذكى لداته لبّاً وأقوامهم للتعلم استعداداً . . . ومحمد بك رأفت هذا الضابط العظيم الذي تنبئ شاراته النحاسية عن رتبته . كان أحد التلاميذ الكثيرين الذين كانوا يرنون دائماً إلى مجاهد معجبين ، وادّين من كل قلوبهم لو يكون لهم بعض تفوقه وبعض رضاء المعلمين عنه . وآباء التلاميذ وأمهاتهم في حي القربية لم يكونوا يعرفون أنموذجاً ينبهون أبناءهم إلى احتذائه غير مجاهد . نعم ، مجاهد ! الذي يعمل الآن مدرساً أهلياً في مدرسة فقيرة ، والعطل من حلية الدبلوم ! والذي يتقاضى راتبه منجما من نصف جنيه ومن ريال !



كان مجاهد قد أحرز البكالوريا والتحق بمدرسة الحقوق ، وكان جده وذكاؤه يسوقان له البشرى ويضيئان بين يديه مناهج الأمل ، ولكن ظروفاً ألمت بآله ، فوجد نفسه يوماً مضطراً إلى العمل كيفما اتفق ليعول أسرة فيها بنات وبنون كالفراخ الزّغب . . .

ولم يبح لأحد من لداته بأمره ، ولم يفعل سوى أن مرّ بردهات المدرسة وأفنيتها جميعاً كأنما يأخذ لعينه الزّاد من منظرها وانطلق وراء أسرته في موطنها الأصليّ ، وهو ممسك بقلبه خشية أن يتصدّع . . .

وحين تبصر رفاقه الطنطاويين في إجازة العيد توارى منهم خجلا ، وإشفاقاً من أسئلتهم المحرجة عن أسباب انقطاعه عن الدراسة ، ولكن الحظ السيء مع ذلك أوقعه فيهم غير مرّة ، فعانى أسئلتهم ، وأجاب ، والحزن يمزّقه والكلمات تحتضر على شفتيه ، أنه يعمل مدرساً في مدرسة شمس المعارف . وتلقى من سخريتهم وضحكاتهم ما شاءوا وشاءت له الظروف . . .

وحين كانوا يقبلون على البلد صيفاً ، كان يلتقي ببعضهم

أحياناً ، فكانوا - وهم لم يتجاوزوا بعد عهد الطالب - يتكلمون إليه تكلّم من تعلم لمن لم يعرف من العلم شيئاً ... يتحدثون فيسرفون في الإساءة إليه من حيث يشعرون أو من حيث لا يشعرون، قال أحدهم مرة وهو ضاحك : مجاهد هذا يصلح وكيلاً لمكتبي حين أكون محامياً ، فهو خير من يجمع لي عناصر الدفاع ؛ وأردف آخر : ولكنني لن أدعه لك فإني سآخذه في بطانتي حين أكون وزيراً . لقد كانوا يتحدثون منذ شبابهم الباكر حديث الحكام ، فكانت لهجتهم الشامخة العابثة تدمي قلبه الذي لم يكن وطّن للمصائب . ولقد كان يملأ نفسه الرقيقة المعززة أنهم كانوا يفيضون أحياناً في الحديث عن موضوعات في القانون كان هو قد اطلع عليها قبل فراقه المدرسة وبدأ يشغف بها

كانت أياماً سوداً . كان يعرف أنه في عمله الضئيل يعيش بلا أمل . وكان يتنبأ بأنه لن يبتسم لنفسه ألبتة ؛ فإن فعل فستكون بسمة غير بسمته المعهودة : بسمةً أخرى هي بنت الكآبة وأخت الدمعة الحارة . لقد استبعد يوماً أن يكون هو مجاهد صاحب الآمال المرسلة بالأمس ، وود الموت صادقاً ، وما منعه أن يقبل عليه غير خوف على أعزاء له صارت إليه أزمّة أمورهم ، وفي رقبته باتت مسؤولية رعايتهم

وها هي السنون لم تُنصف السبّاق النبتَ، وتركته مردود الجماح مكفوف الطّماح ، يريد التقدم فلا يستطيع . إنه منذ عمل مدرساً وهو يلوك منهج السنة الثالثة الابتدائية في الحساب والجغرافيا والتاريخ ... يشقى بتكراره ، ويشقى بتلاميذ لا يبدو فيهم النابغ إلا نادراً : مظهرهم لا يشرح صدراً ، وعيونهم تنمّ عن أنهم جياع ، وملابسهم تنم عن أن أهليهم يعانون في معاشهم مصاعب شداداً ... ! وأبناء الميسورين منهم يذيقونه بعبثهم واستهتارهم عذاباً شديداً ، فإن نهر واحداً منهم جاءه الناظر يقول حانقاً : تصرفاتك تنفّر التلاميذ وآباءهم من المدرسة وتحيلهم إلى مدرسة التاج التي تنافسنا !! ويتيه الناظر فيحتمل مجاهد ، ويقول فيسمع ، ويأمر فيطيع ...

وها هم بعض تلاميذه قد سبقوه أيضاً : نالوا حظ التعليم العالي ، ثم تخرجوا إلى الحياة شباناً ناجحين ... وبقي هو وحده خلف هؤلاء ، وهؤلاء جميعاً ، لا يصل أن يكون مرؤوساً للكثير منهم !

ما برح مجاهد في عمله الشاق يصحح أكداس الكراسات ويغدو على الصبيان الشياطين نحو ثلاثين حصة في الأسبوع ، فيخلع من شبابه وصحته بُرداً بعد بُرد ... وهو مع ما يبذل من جهود لا يتقدم ولا يزيد إلا ضنًى كذُبالة تضيء للناس وهي تحترق !

لقد كان يوشك أن يموت كمداً وألماً كلما ذكر أنه لا يحمل إلا شهادة يحملها الصبيان ويتقدم لها في العام أكثر من خمسة آلاف طالب . إن المفتش والناظر والمعلمين والطلاب لا يقيسون كفاية المعلم إلا بمقياس واحد : « الشهادة » ... وهو سطا به الدهر سطوةً حرمته هذه « الشهادة » ... فسلام على الحياة الرغدة ، وعلى التقدم ، وعلى الأمل ... ! وويلٌ لابنه من الخجل الشديد حين يسأله زملاؤه عما يحمل أبوه من شهادات ... !

هذه الآلام التي ظلت تعبث به سنين طويلة استطاع اليأس ولا شيء غير اليأس أن يواريها انكشفت اليوم حين التقى مجاهد برأفت بك ... فهي تلذعه لذعاً أليماً ، وتعيد له مأساته جديدة أن أيام مدرسة القرية حين رأفت وإبراهيم عثمان لا يتركانه إلا لماماً ، حين كانت الحياة لينة الأعطاف عليهم جميعاً ، وكان هو أذكاهم وأقواهم ! خفض الزمان الثقيل ورفع الخفيف ! ! هذا رأفت وصل يقيناً ، فكيف بإبراهيم وهو كان أنشط من رأفت وأذكى وألمع ؟ ... كيف وهو منذ طفولته أبعد مطمحاً وأكبر لبانة ؟ هو لا بد الآن يتسوّر المجد ... حكم الله ! إثنان يركضان دراكاً وثالثهم يزحف زحف الكسيح ! واضطرب كيان نفسه ... وفاضت عيناه بالدمع الغزير ... كأنما كان معه في القطار ميت عزيز ! والتفت فرأى أناساً يرقبونه في تعجب ، فاستحى أن يبدو أمامهم فيّاض الشؤون ، وأحب أن يكذب ظنهم ، فوقف في نافذة القطار ليدع للهواء تجفيف الدمع بدل المنديل ...

أنّى لمجاهد بالعزاء وهو من بين أترابه الحي الميت ؟ ما أشوق مجاهد إلى الانفراد بنفسه ليتعاطى البكاء دواء يشفي دائه الثائر ! ؟ ولكنه لا يستطيع حتى هذه اللذة ، لأن السافرة كثيرون ، والفضال كثير !

وحملق في السماء ضارعاً يشكو بثه وحزنه إلى الله ، ولكنه

ذكر أن الله عليه غضبان ، فهو منذ خاطت له الأيام محنته يغسل أشجانه في الكأس المحرّمة ، فأرجع بصره إلى الأرض خاسئاً ذليلاً حيران ...

وخفف القطار الجاهد من سيره وهو داخل محطة بنها ، وأقبل الباعة على السَّفْر يصيحون : التين ! الكازوزة ! خبز وبيض ! سجاير ! كانت نداءاتهم عالية مسرعة ملحة كأنما يستنجزون بها المسافرين صدقة ! وفي زحمة العربات وغمار اللّغط ، كان صوت عال مسرع ملحّ كسائر أصوات الباعة يرن أسود خاشماً : الكتب ! النتائج ! القصص ! طوالع الملوك ... ونظر مجاهد إلى صاحب الصوت مأخوذاً ... إنه رجل ترهقه ذلة ناطقة ويحوطه انكسار يروع ... إنه رجل مشتعل الرأس شيباً وعلى صفحته خطوط تتكلم بما يؤوده من أوقار الدهر وبما يُظلم عليه من شباب الحياة . كل ما بين ذراعيه عدد من الكتب الرخيصة التي لا تروج إلا عند العوام وأشباههم وليس ثمنها ببالغ مهما بلغ عشرين قرشاً . هذا البائع المسكين يهيج موضع الإشفاق والحب والرحمة في مجاهد . ما أشبهه بإبراهيم عثمان في جملة سمته ، ولكن هذا البائع بادي البؤس ، وإبراهيم وهو ابن الأسرة الغنية يتفيأ ظلال النعمة ... ولكن هذا البائع مكتئب وكأن الدموع في عينيه تضطرب ، والعهد والظن في إبراهيم أنه مملوء الوجه بنضارة الحياة ، منفرج الثغر دائماً عن بسمة لا تغيض . . . ولكن هذا البائع يزحف إلى الستين ، وإبراهيم وهو في سن مجاهد لمّا يقتحم الأربعين .

إن قلب مجاهد لينازعه إلى إبراهيم صديق الطفولة والصبا . يا رُبّ يوم أمضياه في مرح لا تشوبه شائبة ، ويا ربّ أقاصيص تبادلاها على صفاء ومحبة !

ليت مجاهداً يرى إبراهيم ليحيي وإياه ذكريات صباهما السعيد . ليته يراه فلقد يجد فيه متنفساً لصدره الضيق وروحاً لقلبه المحرور كما كان يجد فيه عوناً على مشاكله الصغيرة أيام الحداثة . . . بل ليته لا يراه مدّ العمر حتى لا يزداد قلبه احتراقاً حين يرى نفسه خلف الزّحام وتربه في مقدمة الموكب ...

يا ويلتا ! أشرب أحدٌ من لداته كأس البؤس مريرة كما شرب ؟ لقد حادت عن قصدها أحلامه وصدعه وخدعه ريب الزمان !

ودنا البائع من مكان مجاهد يتخطى أمتعة المسافرين في عناء ، ويرفع من نداءاته كأنما يسترحم بها وبنظرات عينيه سفّاراً سيتركونه في جزيرة مهجورة ... دنا من مجاهد ، وما التقت عينه بعينه حتى هرع إليه : مجاهد ؟ مجاهد أفندي . . . أإنك لأنت مجاهد ؟ !

— نعم ، هو أنا ؛ وأنت ؟ أتكون إبراهيم عثمان ؟

وتعانق الصديقان القديمان ... ولكن صفير القطار لم يمهلهما حتى يعرف كل منهما شيئاً عما كان في حياة صاحبه ...

هبط إبراهيم ... وانطلق القطار بمجاهد ...

( المنصورة ) لبيب السعيد



( طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين )